تعريف بالمبانى الموجودة داخل قلعة المدينة

أولاً المدارس:

خارج باب الرحمة ، توجد مدرسة سيف الدين سلطان ، وقد كُتِب على بابها الآية الكريمة ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها ... ﴾ وتحت الآية (أمر بعمارة هذه المدرسة المباركة الأمير الكبير المحتاج إلى عفو ربه الرحمن مالك الأمر سيف الدين خوبان ، والخاتون المعظمة سنة أربع وعشرين وسبعمائة ٧٢٤ ...) .

وبجوار هذه المدرسة تمامًا مدرسة السلطان قايتباى . وخارج باب جبريل توجد مدرسة صوقوللى محمد باشا [١] . وبالقرب من باب السلام يوجد مبنى الوقف الكبير للسلطان محمد الثالث [٢] . وهناك بالتمام والكمال مائة وثمان عشرة مدرسة .

ويقع داخل القلعة حمامات [٣] ، وبضع خانات [٤] . وشوارع المدينة داخل القلعة ذات أرصفة بيضاء ، نظيفة جدًا ، ودائمًا ما تُرش هذه الشوارع والطرق بالماء . وبها عشرون كتَّابًا « مدرسة للصبية » وسبع « دور للقراء » دار القراء ، وسبع دور

---

(١) صوقوللى محمد باشا : صقوللى محمد باشا = صوقللى محمدپاشا – محمد باشا صوقللى :

تولى الصدارة لمدة ١٥ عامًا فى عهود كل من السلطان سليمان القانونى وسليم خان الثانى ومراد خان الثالث ، يُنسب إلى قصبة صوقل فى البوسنة ، تربى فى السراي السلطاني ، وعيِّن فى الضواحي بلقب قبوجي باشا ، ثم انعم عليه بالوزارة لما أبداه من شجاعة وحسن تدبير خلال فتح طمشوار فى بلاد الروميلى . ثم عيِّن قبطانًا سنة ٩٥٣هـ = ١٥٤٦م ثم صاهر السلطان بزواجه من « سميخان سلطان » سنة ٩٦٩هـ – ١٥٦١م ثم أصبح الوزير الثانى عقب ذلك . ثم رُقي إلى مرتبة الصدارة سنة ٩٧٢هـ = ١٥٦٤م عندما توفى السلطان سليمان كتم خبر الوفاة حتى تم جلوس السلطان سليم الثانى على العرش . أدار أُمور الدولة بقدرة واقتدار . شارك فى فتح العديد من مدن ودويلات البلقان . إستشهد بخنجر أحد المجازيب سنة ٩٨٧هـ = ١٥٧٩م . مدفون فى ضريح خاص به بجوار أبى أيوب الأنصارى . « المترجم » .

(٢) السلطان محمد الثالث : (١٥٦٦ – ١٦٠٣م = ٩٧٤ – ١٠١٢ هـ) والده هو السلطان مراد الثالث وأمه هى صفية سلطان . ولد فى ١٥ ابريل سنة ١٥٦٦ م ، تولى العرش فى ٢٧ يناير سنة ١٥٩٥ م . وجه حروبه إلى شبه جزيرة البلقان . فتح ، وأعاد فتح العديد من مدنها . تم القاء حجر الأساس للجامع الجديد « بنى جامع » فى عهده . كان يوقف الكثير من غنائم فتوحاته على الحرمين الشريفين ، وعرف عنه حبه للخير ، وتوفى ٢٠ / ٢١ من شهر نوفمبر سنة ١٦٠٣ م .

(٣) الحمامات : أقام العثمانيون أسوة بالحكام المسلمون الآخرون حمامات كثيرة ومتطورة حول الينابيع ، وكان بعضها له قباب مزينة من الداخل بأشكال النجوم والفصوص الحلزونية الشكل . وكان يصل قطر قباب بعضها ١٦ مترًا ، ومحمولة على دلايات منشورية ، وبعضها رحيبة وذات زخارف كثيرة من الداخل .. وكانت تُقام بعض الحمامات بجوار عيون المياه الدافئة . =

للحديث « دار الحديث » وسبعون نُزْل لعابرى السبيل والغرباء ، ولبعضها أوقاف كثيرة تمكنها من أن توزع على الحجيج عسل ، وشربات محلى بالسكر . وهناك ثلاثة أماكن ؛ بها صنابير مياه ، يُنزل إليها بحوالى عشرين أو ثلاثين درجة من درجات السلالم الحجرية وتصلها المياه من ماء « عين الزرقاء » التى تصل إلى المدينة ، وهم من خيرات السلطان سليمان . وعلى بعض الأسبلة [1] كتبت الآية الكريمة ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ (*) وعلى البعض الآخر نُقشت الآية ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ (**) .

وفى الواقع ؛ ليس هناك فى المدينة ما هو أعز ، وأندر من المياه وإذا ما قام واحد من أصحاب الخيرات بتوصيل الماء إلى مسجد الرسول ﷺ وبنى حوضًا للمياه فيكون له ثواب ألف حجة ، وكم من الحكام قد وفدوا إلي هذه الديار المشرفة ، ولكن لم يتيسر لأى منهم ، القيام بهذا الخير الميسر ، ولم ينل هذا الثواب . وبعض الحجاج الغرباء ينوون الوضوء ، ويتوقون الزيارة ، فيضطرون إلي شراء إبريق من الماء من أحد الفقراء ، وقد يصل ثمنه إلي أكثر من قطعتين من النقود ، ليتوضئ به ، فهم حقا يتحملون

= لقد اصبح للحمام التركى نمطه المعمارى الخاص به ؛ ويتكون فى الغالب من غرفة لتغيير الملابس ، على هيئة رواق كبير، ويعلوها قبتان ، الواحدة من وراء الأخرى ، وتتصل الأخيرة بالغرفة الدافئة ، وبها هى الأخرى قبة ترتفع فوق أعمدة تستند على الجدران ، ثم يلى ذلك غرفة ساخنة بها حوض الماء الساخن ، وتتسع الجوانب لإضافة حنيات ركنية، وتوجد فى قمة كل قبة كوة نافذة تسمح بدخول الضوء ، توجد فى الغرفه الدافئة ، وغرفة تغيير الملابس المجاورة ، أحواض تتوسطها النافورات فى الغالب . وكان للحمامات دور كبير فى الجوانب الاجتماعية إلى جانب دورها فى النظافة ، والطهارة ، والاغتسال .

ولسوف نرى تفصيلاً عن حماما ت المدينة فى كتاب مرآة المدينة الذى ستصدر ترجمته قريبا بإذن الله . « المترجم »

(٥) الخانات : كانت الخانات بمثابة النزل ، أو الفنادق المعدة لإستقبال الحجاج ، أو التجار وبضائعهم ودوابهم ، وبحيث تُغطى منشآتها كل هذه الاحتياجات . . وكان بعضها على طرق القوافل وداخل المدن .

(١) الأسبلة : حرصت الحضارة الإسلامية على تعميم الأسبلة ، والششم « عيون المياه » والصنابير فى كل البلاد ، وكانت تُبنى فى واجهات المساجد ، والمدارس . . وما تزال هذه المنشآت باقية إلى الآن وقد حرص السلاطين والخلفاء والحكام المسلمون على تعميمها . . وكان اسلوب البناء والنقش والزخرفة يتغير تبعًا لظروف المبانى التى الحقت بها . أما الأسبلة ذات الجوانب الأربعة ، فقد ارتفعت فى مواضعها كالقبلا ، أو الأكشاك الصغيرة ، وسط الميادين العامة ، وأضفى هذا عليها فخامة وروعة ، وجهزت هذه الأسبلة بالماء الجارى وزخرفت واجهتها بالزخارف الجميلة ، وكان منها ذات الواجهتين أو ذات الشعبتين .

وسنرى تفصيلاً لها فى كتاب مرآة المدينة المنورة الذى ستصدر ترجمته قريبًا إن شاء الله تعالى « المترجم »

(*) سورة الإنسان آية ٢١ .

(**) سورة الإنسان آية ١٨ .

مشقة جامة فى سبيل الحصول على الماء . ويعرض التجار الذين يفدون من أقاليم الدنيا السبعة ، بضائعهم فى المدينة ، والآهالى يعملون بالتجارة . وأبواب المدينة ، ومحلاتها مفتوحة ليلاً ونهاراً طوال أشهر رجب وشعبان ، ورمضان ، ويضيئون المدينة ليلاً بمئات الألوف من القناديل . ولكن العيد الحقيقى للآهالى هومجئ الحجاج المسلمين . حيث يأتى معهم المحمل [1] والصرة والهدايا ، والأعطيات . فيرتدى الآهالى أفخر ماعندهم من ثياب ، ويدعون الحجاج إلى بيوتهم ، ويعقدون معهم صداقات حميمة ، ويؤدون معهم مناسك الزيارة وهذا مما لا شك فيه يحقق لهم مكاسب عدة . والسلام

ضاحية المدينة المنورة :

وتقع هذه الضاحية قبالة القلعة ، وأطرافها الشمالية ، والغربية والجنوبية ، كلها عبارة عن قصور ، وبيوت ذات حدائق ، غناء ، وبساتين يانعة ، والمدينة عبارة عن سبعة أحياء ، بها ألفين منزلاً ثنائية الطوابق تُستجلب أشجارها ، وأخشابها ، من مصر عن طريق السويس ، إلى ينبع البحر ، ومن هناك بالجمال ، إلى المدينة . ويصنع أهل المدينة من هذه الأشجار ، والأخشاب منازلهم . وحول المدينة كلها ، ومن جهاتها الأربع ، وادى جاف ، وكأنه للمدينة بمثابة الخندق .

وفوق محرابه نُقشت الآية ﴿ **وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً** ﴾ (*) . وليس له فناء ، ولكن له إيوان خارجى ، أما داخله فمفروش بالأحجار الصغيرة « الحصى » والدعوات فيه مستجابة لإن المصطفى (ﷺ) قد دعى بذلك .

---

(١) المحمل : المحمل الشريف : مصطلح إدارى يُستخدم للدلالة على الوسيلة التى كانت تُستخدم لحمل ، ونقل الصرة الشريفة ، وستارة الكعبة ، والهدايا المقدمة من السلطان ، أو والى مصر ، أو الحاكم ، أو الخليفة ، إلى الحرمين الشريفين، وأهل الحجاز ، والمجاورين ، والدارسين فى الحرمين ، وكانت هذه الأمتعة تُحمل على الجمال ، وكان السلطان فى الآستانه ، أو والى مصر يُشيع بنفسه المحمل الشريف عند سفره إلي الحجاز فى موسم الحج . وكان يرافق المحمل آلاى الصرة .. وكانت هذه المراسم تتم فى أواسط شهر شعبان من كل عام . وسط احتفالات ، ومراسم شعبية ورسمية بديعة . وكان كل والى يتولى شئون المحمل ورعايته خلال مروره عبر حدود ولايته .. ثم يتم استقباله من قبل الوالى فى الولاية التى سيدخلها حتى يتم الاستقبال النهائى من قبل والى الحجاز وامير مكة والشريف وآغوات الحرمين ، وقائد الحامية العسكرية فى كل من المدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، وسط حفاوة بالغة . (المترجم)

(*) سورة آل عمران آية ٣٧ .

غرب هذا الجامع يقع مسجد سيدنا أبى بكر الصديق ، وعلى بعد مائة خطوة وناحية القبلة من المسجد النبوى الشريف وعلى مساحة مسطحة يقع مسجد ..... وهومسجد أنيق وبه قبة .

وبعضٍ من المدارس التى كانت تبلغ ست وأربعين مدرسة قد تحولت إلى منازل . وبها ست مدارس « دار للقراء » وإحدى عشر « داراً للحديث » وعشرون مدرسة للصبية والأطفال . وجميع هذه المدارس مرتبطة بالصرة السنوية ، ولكلٍ حصة محددة . وخيرات المدينة المنورة لاتُصادف فى أي مدينة أخرى .

وبهذه الضاحية حمام عام ، ولكنه لا يعمل طوال اليوم ، وبالقرب منه مدرسة « الخاصكية » [1] حيث ينام بها الحجاج . كما أن بئر سيدنا على بهذه الضاحية أيضاً .

وبها أربعة مبانى كبيرة ، إحداها من أثار السلطان سليمان ، وهو بالقرب من حمام مراد الثالث . ومن الخاصة السلطانية تُوزع الشوربة « الحساء » ولحم الضأن ، والأرز ، والزردة ، والعاشوراء على الفقراء ، والمساكين ليلاً ، ونهاراً كما تُوزع على الذين يسكنون داخل أسوار القلعة جميعًا ؛ غنى ، أو فقير خادم ، أومخدوم .

---

(١) الخاصكية « خاصه كى » Haseki مصطلح يُطلق على الجارية التى كان يستحسنها السلطان ، وتدخل ضمن محظياته . . كانت الفتاة التى تقدم إلى السراى كهدية أو تشترى تُسمى فى البداية « أعجمية » اى ما زالت خام ، ولم تدرب بعد . ثم تُصبح « قلفه » وفى النهاية تُصبح « خزينة دار » . وللترقى فى هذه المناصب كان الأمر يتطلب إلى جانب الجمال ؛ العلم والخبرة وحسن المعاشرة ، ومَنْ تروق للسلطان تصبح « خصكى أوخاصكى » اى خاصة ، أو محظيته . ويمكن أن يكون للسلطان أكثر من خاصكية ؛ ربما تكون أربع وحتى ثمان محظيات . وربما يختار السلطان من بينهن من يكن زوجاته ، وتكسب لقب « سيدة » بدلاً من محظية . وتُعيَّن لكل خاصكية اى لكل محظية حرمًا أو دائرة خاصة بها .

ومَنْ كانت تنجب للسلطان وليًا للعهد ؛ كانت تُسمى والده سلطان اى السلطانه الوالدة ، وظلت بعضهن محظيات اى خاصكية للسلطان على الرغم من حصولها على لقب والدة سلطان ، فليس من الضرورى أن يتم الزواج . وأول من فكر فى أن تكون الزوجة بعقد النكاح هو السلطان عثمان الثانى ، وإبراهيم ، وكانْ يعد السلطان محمد الفاتح . وقد أراد الأول بزواجه من إبنة شيخ الإسلام أن يجعل نسله يكون من زوجات ، وليس من محظيات – وكان السلطان إبراهيم إذا أعجبته خاصكية ، يعقد عليها ويتم العرس ، إلا أن هذه العادة قد استمرت حتى عهد السلطان عبد الحميد الثانى ، فحتى عصر هذا السلطان كانت زوجات السلاطين من الخاصكية ، وكان يُطلق على أطفالهن « خاصكى سلطان » وبعده تم اطلاق لقب « قادين أفندى » على سيدات القصر .

وكان من الأسرار المحرمه ، هو الأسر التى تدخل فتياتها إلى السراى . . ولم يكن يسمح بتداول المعلومات عن حريم السلطان على الاطلاق ، وذلك بهدف الحفاظ على نسب ، وسلالة الأسرة العثمانية الحاكمة . . « المترجم »

وبهذه الضاحية أربعون مضيفة ؛ يؤمها عابروا السبيل ؛ وأشهرها هى مضيفة المفتش محمد باشا التى تقع فى إيوان جامع الإميرال . وعلى بابها تاريخ منقوش ، ولكنى لم أتمكن من نقله ، وكتابته بسبب السرعه وخارج باب مصر ؛ يوجد سبيل الآغا [١] ، وقد نُقش على نافذته الآية الكريمة ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [*] . وعلى ناصية كِبْدِى « خاصكى سلطان » [٢] يوجد سبيل آغا در السعادة [٣] . كما

---

(١) الآغا ؛ A´ga مصطلح عسكرى وإدارى كان يُطلق فى العهد الماضى على أصحاب المواقع الرفيعة فى الدولة . وكان هذا المصطلح ، « الآغوية » يحمل أهمية كبيرة فى الدولة العثمانية قبل فترة التنظيمات (١٨٣٩ م = ١٢٥٥ هـ) . وكان يطلق بصفة عامة ومطلقة على ضباط الانكشارية . ثم أصبح يُطلق علي الذين لا يعرفون القراءة أوالكتابة من أصحاب الثروة .

كما تدل الآغوية ، بين الشعب على السطوة ، والقوة والشدة ، وعلو الجانب من ناحية ، ومن ناحية أخرى على الكرم والوجاهة ، ويعتبر لقبًا بين التركمان ، وعلى الخصيان ، والطواشية ، وعبيد الباب .. وخدم الحريم فى القصور السلطانية.

أما فى اللهجة الجغطائية فمعناه ؛ الأخ الأكبر وفى اللهجات التركية الغربية يفيد معنى « أفندى » أو السيد ، ويحل محل « بك » لدى التركمانيين ، فى العصر التيمورى تدل على الأصالة ، وصاحب الشرف والمقام الرفيع ، وكان لقبًا للسيدة التى استرقها ثم تزوجها تيمورلنك .

وفى اللغة التركية العثمانية ، تُستخدم كلمة آغا للدلالة على كبير البيت والعائلة ، وصاحب الأرض الزراعية الشاسعة . كما كانت لقبًا للكثيرين الذين يقومون ببعض الوظائف الإدارية ، آغا البريد ، آغا الباب ، آغا البلوك ومنهم آغوات الحَرَم . ؛ آغلت الحرم = آغوات الحَرَم ؛ مصطلح يُطلق على الطواشية أي الخصيان الذين يعملون كخدم فى الحرم؛ سواء أكان الحرم النبوى ، أوالحرم المكى . كما يُطلق فى العصر الحديث على الذين يتولون الخدمة ، والأمن فى الحرمين الشريفين .فى العصر العثمانى كان هؤلاء الطواشية يخدمون أولاً فى القصور والسرايات وعند تغيير السلطان ، أو بلوغ الآغا نفسه سنًا كبيرًا كان يبعث به مع آخرين للعمل بالخدمة فى الحرمين الشريفين ، وكان لبعضهم نفوذ ، وثروة كبيرة استمدها من نفوذ وثروة السلطان الذى تربى فى كنفه.

ولما كانوا فى البداية يعملون فى خدمة سيدات السراى فقد كان يطلق عليهم إسم « خدم الحرم » أى خدم الحريم، ففى هذه المرحلة يكون المقصود حرم السراى .. وكانوا أغلبهم من الزنوج السود ، الذين كانوا يقدمون إلى السراى من قِبل والى مصر ولكن قام الصدر الأعظم ابشير مصطفى باشا بمحاولة ابعادهم عن السراى ولكنه لم يوفق ، ولكن تمكن الصدر الأعظم الشهيد على باشا بالقضاء على هذا النظام فى عهد السلطان أحمد الثالث . وأصدر فى سنة ١١٢٧هـ = ١٧١٥ م أمرًا صريحًا إلى والى مصر بإبطال خصى الصبيان الحبشيين . (المترجم)

(*) سورة الأنبياء آية ٣٠ .

(٢) خاصكى سلطان : خرُّم خاصكى ؛ إحدى زوجات السلطان سليمان القانوني . والدة كل من السلطان سليم خان الثانى ، وولي العهد بايزيد ، والأميره مهر ماه سلطان . من أصل روسي ، اكتسبت نفوذًا كبيرًا بسبب جمالها وذكائها منذ كانت محظية . ولكنها لم توظف هذا النفوذ فى الخير طول الوقت . كانت سببًا فى إعدام كل من الصدر الأعظم إبراهيم باشا وأحمد باشا . وكانت هى السبب فى قتل ولي العهد مصطفى ليخلو المكان لإبنها سليم . وهى التى تُسمى فى المصادر الغربية د « روكسلان » (Roxelane) . وهى يهودية الأصل . (المترجم)

(٣) آغادر السعادة : مصطلح عسكرى ، وإدارى كان يُطلق على كبار القادة والموظفين فى السراي العثمانى . وكانت =

رأيت أن هناك سبيل ماء ، ملحق بكل خان ، أومدرسة ، وتُجلب مياهها من ماء «عين الزرقاء» . كما يوجد بها سبعة أحواض ، كما أن الأبار تنتشر ، حيث تمر مياه عين الزرقاء . وبها حوالى مائة دكان أغلبها مقاهى ، ودكاكين قصابين ، ومطاعم وعطارين ، وصيارفة .

وتتحول المدينة إلى بحر من البشر عندما يفد الحجيج ، ويعم الرخاء . وتعداد سكان المدينة خارج أيام الحج حوالى أربعة عشر ألف نسمة . ويرد إليهم كل مآكلهم ، ومشاربهم من مصر ؛ حيث أوقف كل من سليم فاتح مصر ، وسليمان ، ومراد الثالث ، والسلطان أحمد ، عليها أوقافًا ، كثيرة فى مصر . فالدشيشة والقمح يأتيان من الأوقاف «المرادية» و «المحمدية» و «الخاصكية» . فمن الدشيشة أربعة عشر ألفًا ، ومن القمح مائة ألف أردب تُحَّصل فى مصر ، وتُجلب إلى المدينة ، وتُوزع على الآهالى كلٍ حسب البراءة السلطانية التى يملكها .

وما أن يصل أمين الصرة مع قافلة الحج الشامى [1] حتى يحضر المبالغ المخصصة

= الآغوية مصطلحًا مهمًا قبل تنظيمات سنة ١٨٣٩م = ١٢٥٥هـ . كما كان يُطلق بصفة عامة على ضباط الانكشارية ولكنها بعد ذلك أصبحت تُطلق على أصحاب الأراضى والملاك الذين لا يعرفون القراءة والكتابة .

كما كان يُطلق على كبار العاملين فى السراي . وكان الباشآغا يتولى أمانه العاصمة – ودر السعادة يُقصد بها هنا العاصمة استانبول . فهنا آغا در السعادة أي امين باب السعادة = استانبول . وكان هو المسئول عن كل أمور العاصمة . (المترجم)

(١) قافلة الحج الشامى : وهو الطريق الذى كانت تقطعه قافلة الحج الشامى والتى كانت تضم حجاج الشام والأناضول والقوقاز وشبه جزيرة البلقان .. وبعد أن تصل هذه القوافل إلى الشام وخاصة مدينة دمشق ينضم إليها حجاج ايران ويتجهون سويًا إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة مرورًا بالمناطق التالية :

طريق قافلة الحج الشامى : كان طريق الشام هو أحدى الطرق السبعة المذكورة التى كانت تسلكها قوافل الحج فى الذهاب والإياب ، كما كان (محمل الشام الشريف) يسلك هذا الطريق .

كانت قافلة الشام تتحرك – فى أغلب الأحيان – فى الخامس عشر من شوال تحت رئاسة أمير الحج ، والتى كان يتولاها فى العادة والى سوريا . وكان يسبق التحرك احتفال مهيب ينظمه قائد الجيش الخامس ، وبعد القيام بالتشريفات المعهودة فى مثل هذه الأمور ، تخرج القافلة من الشام من (قبة الحاج) التى كانت تعد نقطة البدء للقافلة ، ومن هناك أيضًا تتحرك إلى (الكسوة) وينضم إليها الحجاج الذين يجمعوا فى (مزيريب) ، وتتجه القافلة نحو المرحلة الأولى من هذا الطريق والتى تسمى (خان ذى النون) .

ومنذ القدم كانت تقدم وجبة ساخنة للحجاج والحراس من وقف ابن الحصن عند استراحة خان ذى النون ، كما كانت توزع عليهم كمية من الماكولات نظير رسم معهود فى نفس المرحلة أيضًا .

والقافلة المتحركة من خان ذى النون تمر من المكان المسمى (خان الزيت) حتى تصل إلي استراحة (خيمن) . والمرحلة المذكورة هى بعينها قرية ابن قواص التركمانى . وهذه القرية ذات مياه وفيرة وطيورها متنوعة وكلاب الصيد =

من مصر ، ومقدارها ثنتا وستون ألف قطعة ذهبية شريفية ، عدا ما يرد من الأوقاف الأخرى ، المخصصة لكل من مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، فى البلدان

= فيها مشهورة ، حتى أن معظم كلاب الصيد التى يستخدمها أهالى الشام الشريف تستجلب من هذه القرية ، والقافلة التى تغادر مرحلة خيمن تتوقف فى موقع (غباغب) بعد أن تكون قد عبرت (تل فرعون) .

وفى غباغب قلعة حصينة هى من آثار المرحوم السلطان سليم الأول الذى أوقف حمايتها على أحفاد إبن قواص التركمانى سالف الذكر ، وهى قلعة حصينة بقدر ما هى جميلة .

ومن الوظائف والواجبات المنوطة بأحفاد ابن قواس سالف الذكر أيضًا ، المحافظة على طريق الحج ، الممتد من ذى النون حتى خيمن وحمايته .

والقوافل التى تترك غباغب تصل إي مزيريب بعد أن تكون قد مرت ببئر (دبله) . ومن العادات القديمة التوقف عند دبله بعض الوقت لإناخة الجمال حينا لتلقط أنفاسها .

مزيرب :

مزيريب اسم متنزه كبير ومشهور داخل بلدة حوران ، والمرحوم السلطان سليم هو الذى أمر ببناء قلعة جميلة بجوار عين مزيريب من أجل راحة الحجاج والعناية بهم ، وقد أمر بوضع بعض الجنود بهذه القلعة للمحافظة عليها .

ولما كان هذا الطريق فى مأمن من تسلط الأعراب وغاراتهم ، فإن المحمل الشريف يقيم فى هذه المنطقة بضعة أيام . كما يقام بها مايشبه السوق ، حيث يتم بين الحجاج وبين التجار ، الذين يتوافدون من المناطق المحيطة ، بعض المعاملات التجارية .

والقوافل المتحركة من قلعة مزيريب تتوقف عند مرحلة (كتيبة) التى تقع إلى الجنوب قليلا من القلعة المذكورة ، وهذه المرحلة تتمتع بكثرة الآبار ذات المياه العذبة المتدفقة ، وبالرغم من هذا ، فإن المسافرين لا يقضون لياليهم فى نفس المكان ، بل يستمرون فى سيرهم حتى (ازرغات) .

ازرغـــات :

وازرغات هذه قرية بالقرب من حوران . ومع أنه توجد استراحة تقع على بعد نصف مسافة من هذه القرية ، إلا أن القوافل لا تتوقف عندها لعدم وجود المياه الكافية بجوارهذه الاستراحة ، بل تستمر فى سيرها حتى ازرغات .

والقوافل المتحركة من قرية ازرغات هذه تصل إلى (الزرقا) ، ومنها تصل إلي (الزرق) .

الزرقـــا :

وقرية الزرقا قرية تحتوى على مياه كثيرة جارية . كما تحتوى أزرق على أطلال قلعة قديمة ، وكثير من حدائق النخيل . والمكان الذى تتوقف فيه القوافل كثيره المياه . وتقع قرية أزرق هذه على بعد مسيرة يوم واحد إلى الشمال الشرقى من الزرقا .

والقوافل التى تغادر أزرق تصل أولا إلى (عمرى) وبعدها إلى (بلقا) .

وعلى طريق عمرى وعند استراحة (دومة) وفى الجهة الشرقية توجد ساقيتان لإخراج المياه . وهذه المياه تأتى من عمان وتتجه ناحية الغور فى جريانها . وتقع بلقا فى أقصى جنوب ولاية سوريا علي درجة ٣٣ خط عرض و١٢ دقيقة شمالا و٣٣ دقيقة واحدة على خط طول شرقى . ولكن القوافل لا تتوقف فيها لعدم توافر المياه بها .

وتصل القوافل المتحركة من بلقا إلي استراحة (قطران) بعد اجتياز سبع عقبات ، ومن هناك تتحرك القوافل حتى تصل إي منزل (حسا) .

والسلطان سليمان هو الذى أمر بتأسيس قلعة كبيرة عند مرحلة قطران ، وهو الذى أمر بحفر وتطهير بركتها التى كانت قد سويت بالأرض لامتلائها بالمخلفات . وقد أرسل خمسة عشر ألف فيلورى للصرف منها على هذه الأغراض .

ولم تكن قوافل الحج التى لا تجد المياه اللازمة لها فى بركة قطران ، تتوقف فى هذه المرحلة ، بل كانت تتابع سيرها =

التى تم فتحها حديثًا ، ويقوم – فى حضور شيخ الحرم وملأً المدينة . بتوزيع هذه الحصص على أصحابها نهاراً ، وليلاً تحت أضواء المشاعل وطبقًا للدفاتر السلطانية .

= حتى تحط رحالها عند جسر (لجون) الواقع فى الطرف الغربى للمرحلة السابقة .

ثم تصل القوافل إلي قرية (الكرك والشوبك) الواقعتين فى الشمال الشرقى للمنزل السابق ، وعندما تصل قافلة الحجيج إلى الحسا كانت ترسل مؤنها من هذه القرى .

وعلى الرغم من أن قرية الشوبك هذه تقع بين الجبال ، إلا أنها تتمتع بالمياه المتدفقة ، ومراعيها الخضراء الكثيرة . وفوق الجبل الواقع فى الطرف الغربى ، يوجد نزل ونبع ماء ، وبالقرب من هذا النزل يوجد جسر صغير .

أما الكرك فهى مركز ملحق بسنجق الشام ، ومرتبطة بالدوائر الحكومية الموجودة فى (نابلس) ، وأراضيها خصبة وذات محاصيل وفيرة . إلا أن سكانها من قبائل البدو ، وعشائرهم لا يعرفون شيئًا عن المدينة الحديثة . وتعداد سكانها حوالى ثمانية آلاف ستة منهم أو يزيد على الدين الإسلامى ، أما البقية الباقية فهى على الدين المسيحى .

والقوافل التى تغادر الحسا تصل إلي (ظهر عنيزة) ، ثم تصل بعد ذلك إلى قلعة معان .

وإذا كان الطريق الممتد بين (الحسا) و(عنيزة) فيه الكثير من المنحنيات والانحدارات ، إلا أن الحدائق التى ترى فى (الوبك) و (عنيزة) من بعيد تجعله طريقًا مامونًا .

أما مرحلة (معان) فهى تتبع ناحية (شراء) .وكانت هذه المنطقة مقر إقامة بنى أمية فى القدم ومأوى رجالاتهم . وللسلطان سليمان القانونى فى المنطقة قلعة وينبوع ماء . ومع أن مياه هذه العين لا تستحق المدح والثناء ، إلا أنها تدفع عن المسافرين والقوافل شدة العطش والحاجة الملحة إلى المياه .

وبعد قلعة معان تصل القوافل إي (شهر العقبة) ، ومن هناك تتحرك نحو (ذات الحج) وتسمى ظهر العقبة بـ (عبادان) أيضًا . وإذا كانت هذه المرحلة تعوزها المياه ، إلاأنها مشهورة بتمورها وبلحها الذى يسمى (طبيليات) .

كما أن ذات الحج أيضًا لها اسم آخر وهو حجر ، وقد أمر المرحوم السلطان سليمان القانونى بإقامة قلعة فى هذا المكان أيضًا . وتأتى مياه ذات الحج من الحفر والآبار التى يقوم الأهالى بحفرها ، ويصنعون لها المجارى ، ويقيمون المشاتل والمزارع على مياها . وتشتهر هذه المنطقة بالعديد من أنواع التمور والبلح الذى تشتهر به بساتينها .

والحجاج الذين يغادرون ذات الحج يصلون إلى (قاع البسيط) ، ومن هناك يشدون الرحال إلى (تبوك) .

ومنطقة قاع البسيط منطقة رملية ، تسمى أيضًا بـ (عرابد) ، وقمة الجبل المرتفعة التى يسميها العرب (شروراً) تقع فى مكان يتوسط هذه المنطقة الرملية .

وتشتهر منطقة تبوك بالبلح والتمور . وقد أمر المرحوم السلطان سليمان بإقامة قلعة حجرية منيعة فى هذا الموقع أيضًا .

ومما يروى أن المصطفى ﷺ قاد المجاهدين أثناء غزوة تبوك الشهيرة ، قد ملأ راحتيه الكريمتين من نهر تبوك ونثرها فى الوادى الذى كانت مياهه قليلة وراكدة آنذاك . فتدفقت مياها وبدأت فى الجريان ، وما زالت تلك المياه تسيل حتى الآن .

وتوجد بركة ذات مياه بالقرب من قلعة تبوك .

والقوافل المسافرة من تبوك تصل إلى منزل (مقابر القلندرية) ، ومنها تتجه إلى مرحلة (أخيضر) .

ومقابر القلندرية هذه عبارة عن هضبة صغيرة إلى حد ما ليست بها عيون ماء . أما أخيضر فتقع بين الجبال ، وهى ذات مساحات واسعة ، وقلعتها تحت إدارة حكومة الشام . وتوجد ثلاث برك ملاصقة للقلعة تمامًا لدرجة أن سكان القلعة يأخذون المياه من الآبار الواقعة داخل الحصن ويملأون بها البرك المذكورة .

وقد أمر السلطان سليمان القانونى فى بداية جلوسه على العرش سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م) ، وإليه على الشام مصطفى باشا بأن يشيد قلعة أخيضر . وبناء على هذا الأمر قام مصطفى باشا هذا بتكليف (طربان بن قراجا) شيخ عربان بنى حارثة ببناء هذه القلعة ، فقام بتشييدها على الفور ، لأن عربان بنى عقبة وبنى لام كلما نشب الخلاف ودب العصيان بينهم ، قاموا بإغلاق الآبار وتصفية البرك من مياهها . =

ويتم ذلك كله وسط فرحة الآهالى ، وتهليلهم وبالثناء والدعاء للسلطان .

= وتصل القوافل بعد مرحلة أخيضر إلى (بركة المعظم) ، وتتجه من هنالك إلى (مغارش الزبر) . وبعد هذه المرحلة تتجه القوافل إلى مرحلة (جبل الطاق) .

بركة المعظم :

وهى عبارة عن حوض كبير أقيم ليملأ بمياه السيول وسط منطقة صحراوية ، ويظل فارغًا من المياه عند انقطاع الأمطار، ويروى أن هذاالحوض من آثار الملك المعظم عيسى أحد سلاطين بنى أيوب .

مغارش الزبر :

ويطلق عليها أيضًا (فراح وأفرع) وهى تبعد عن جبل الطاق بنصف مرحلة فقط .

جبل الطاق :

وهو الموقع الذى عقرت فيه ناقة صالح عليه وعلى نبينا السلام ، وبعد أن تصل قوافل الحج إلى هذا الموقع ، تتجه ناحية الشرق ، وتعرج نحو (مبرك الناقة) ثم تتابع سيرها حتى تنزل فى مرحلة (حجر) .

الحجر :

ويطلق عليه أيضًا (قرى صالح) . وهذه القرى عبارة عن هضاب رملية وبيوت منحوتة فى الصخر على قمم الجبال .. وهذه المنطقة وإن كانت آثارها كثيرة إلا أنه قد نهى عن الشرب منها .

قرى صالح :

وهى عبارة عن موقع رملى ويابس به بعض الجبال المنخفضة وتُسمى هذه الجبال بالاتالب أيضًا . وقد مر الرسول الكريم ﷺ بهذا المكان عند ذهابه إلى غزوة تبوك . وهو – عليه الصلاة والسلام – الذى تناول بعضًا من مياه آبارها ثم نهى عن شربها ، بل وأمر بسرعة المرور والعبور من هذه المناطق .

الحجر :

وهى الأراضى التى تعرف بديار ثمود . وتوجد بها بعض المنازل التى نحتت فى الجبال . وبها أيضًا مسجد صالح الذى حفر فى البقعة الشريفة من هذه الديار . وحول هذا المسجد الشريف توجد بعض الأطلال والآثار التى بقيت من عهد ثمود .

ويطلق على الجبل الذى توجد عليها استراحة الحجر (جبل أنان) . وكان صالح بن عبيد بن أسفان ماشيخ بن عبيد بن ثمود بن عابر بن إرم ابن سام وأولاد عمومتهم جديس وعاد يسكنون بجوار الحجر هذا ، وكانوا يعبدون أصنامهم فى تلك البقاع ، وقد أرسل الله سبحانه وتعالى ، صالح إليهم ليدعوهم إلى التوحيد . وقد أرادواهم بدورهم إعجاز صالح (عليه وعلى نبينا السلام) ، بأن طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من الصخر . وبناء على إصرارهم هذا أخرج لهم الحق جل وعلا ناقة من الصخر ، وتمادى بعضهم فى غيه وعناده . ولم يؤمنوا بما دعاهم إليه صالح ، وحددوا يومًا لكى تشرب فيه الناقة من البئر الذى منه يسقون . ثم قر قرارهم على أن يعقروا ناقة صالح . وعقرها رئيسهم (قدرا) ، فأنذرهم صالح بأن العذاب سيأتيهم بعد ثلاثة أيام . وهاجر عليه السلام إلى بلدة (الرملة) فى فلسطين واختارها موطنًا ومقامًا له . وبعد أن انقضت المهلة الممنوحة لهم ، أتاهم عذاب الله . إذ أنزل عليهم من السماء حجارة كأنها سهام القضاء ، ونالهم الهلاك المبين . وأصبحت جثثهم هامدة ، وديارهم خاوية . ولم يحميهم ما شيدوه من قصور شامخة ، وما جمعوه من أموال وافرة ، ونحتوه من بيوت آمنة . وكان ذلك تصديقًا لوعده ، ومظاهرة لنبيه ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم « فأصبحوا فى ديارهم جاثمين » .

والقوافل التى تغادر مغارش الزبر تواصل سيرها جهة القبلة مسافة نصف منزل أى حتى المكان الذى عقرت فيه ناقة صالح . ثم تتحرك من هناك حتى تنزل فى منزل (الحجر) سابق الذكر والواقع فى الجهة الشرقية . وتمر القوافل مسرعة أمام الصخرة التى عقرت فيها ناقة صالح حتى لا يسمعون صدى صوت الناقة عند عقرها لأن الجمال والنوق التى قدر لها أن تسمع صدى صوت ناقة صالح تنخ باركة ، ولا تستطيع أن تنهض مرة أخرى ، ويعتقد البعض أن هذا هو السر وراء دعوة المصطفى عليه الصلاة والسلام لرجاله أن يمروا خفافًا من هذا المكان عند توجههم إلى غزوة تبوك . =

وهواء المدينة ومناخها فى غاية الإعتدال والجمال ؛ فالمحبوب والحبيبة فى غاية الرقة والجمال والبهاء : « بيت »

= **العـــــلا :**

وتتجه القوافل القائمة من الحجر إلى موقع (العلا) الموجود فى الجهة الجنوبية ، وعلى مسيرة نصف مرحلة من ديار ثمود .

تبعد العلا عن المدينة المنورة بست مراحل ، وهى من توابع المدينة المنورة وتكثر بها المياه الجارية والحدائق والبساتين . كما توجد بها قلعة حصينة ، وتتمتع بانخفاض فى أسعار منتجاتها .

وكان السلطان سليمان القانونى قد أمر بتجديد قلعتها وحصنها . وقد ضرب حولها حصار من الجند لحراستها ، على اثر الشكوى التى قدمها الأهالى إلى والى الشام من غارة بعض العصاة من الأعراب على نخيلها . وبعدها بدأت الحكومة فى تقاضى درهم عن كل نخلة ، حتى يصرف من هذه الحصيلة على الجند . ويروى البعض أن هذه الضريبة قد ارتفعت إلى أربعين درهماً عن كل نخلة .

والقوافل التى تغادر (العلا) تتجه نحو (قطران أو طوامير) . وهذا المكان حجرى صلب صعب الاجتياز يخلو من المياه والسكان .

وتصل القوافل من هناك إلى (شعب النعام) . وهذا الموقع وإن كانت لا تتوفر فيه الآبار ، إلا أن الحجاج ينالون حاجتهم من المياه التى تراكمت على جانبى الطريق بعد هطول الأمطار .

شعـــب النعـــام :

وبعد (شعب النعام) تصل القوافل إلى مرحلة (هدية) . ومع أن هذه المنطقة تتوافر فيها المياه من الحفر ، إلا أن أحداً من المسافرين لا يقربها لأنها تسبب الإسهال ، وبعد هدية تصل القوافل إلى منزل (فحلتين) .

منـــزل فحلتـــين :

ومنزل فحلتين هذا عبارة عن هضبتين صغيرتين ، تخلوان تماماً من المياه ، ويوجد بالقرب من فحلتين جبل مرتفع فوق قمته حصن حصين .

والقائمون من (فحلتين) يمرون بـ (وادى القرى) ومنه إلى (بيار حمزة) . وبعد ذلك يصلون إلى (المدينة المنورة) وتستمر رحلة القوافل فمن الشام إلى المدينة المنورة ١٤٧ ساعة وتصل فى الغالب فى الثالث والعشرين من ذى القعدة من كل عام ، ثم تستمر حركتهم إلى (بيارعلى) .

وادى القـــرى :

ووادى القرى هذا موقع تكثر فيه الغابات والأشجار ، وإن لم توجد به المياه . وتنسب (بيار على) إلى الحيدر رضى الله عنه . وهى عبارة عن عدة آبار عمق كل منها ثلاثة أذرع .

ولماكانت القوافل تصل إلى هذا المنزل فى وقت الإحرام ، فإن الحجيج جميعهم يلبسون ملابس الإحرام فى هذا الموقع .

والقافلة التى تتحرك من (بيار على) تصل إلى (قبور الشهداء) ، وبعدها تصل إلى الجديدة .

قبـــور الشهـــداء :

وهى عبارة عن مكان محصور بين جبلين ، تعتمد مياهه على البحيرة التى تتجمع مياهها من أثر هطول الأمطار ، وإذا لم تسقط الأمطار ، تعذر الحصول على المياه فى هذا الموقع .

جديـــــدة :

وهى عبارة عن هضبة صغيرة محصورة بين جبلين ، فوقها قرية صغيرة كثيرة المياه يانعة البساتين مليئة بالحدائق ، تمورها وقثاؤها وشمامها وبطيخها كثير ، حلو المذاق .

والقائمون من الجديدة يصلون إلى (بدر) ، ومنها إلى (قاع البرو) ، ثم يتجهون نحو (رابغ) . وتوجد عدة قرى =

= عامرة بين قرية جديدة ووادى خضر . كما ان ناحية بدر تكثر فيها المياه الجارية والبساتين وارفة الظلال والحدائق ذات المحصول الوفير .

قـــاع الـــبرو :

وهو عبارة عن واد رملى منخفض يخلو من المياه . وإذا كانت رابغ هى الأخرى واديًا رمليًا ، إلى ان قربها من البحر جعل مياه الآبار العذبة تتدفق إذا ما حفرت الآبار فى اى موقع من المواقع . وتكثر حدائق النخيل والبساتين فى وادى رابغ هذا . كمايكثر فى هذا الوادى نوع من السمك الذى يسمى (علف الغنم) . وهناك طائفتان تقطنان رابغ : إحداهما (روى) ، والأخرى (روى جماع) وكانت ترسل لهم صرة خاصة بهم .

والقوافل المتحركة من رابغ تصل إلى (طارق) ، ومن طارق تتجه إلى (عقبة السويق) .

بـــلاد الطـــارق :

تقع قرى بلاد الطارق فى الجهة الشمالية من مرحلة طارق ، والبلاد المذكورة عبارة عن مجموعة من القرى والمزارع العامرة بأشجار اللوز ، تقع فوق قمة جبل عال .

وعندما ينزل الحجاج فى استراحة طارق ، يفد عليهم أهالى قرى بلاد الطارق ليبيعوا لهم السمن والزبد والجبن والحبوب المنوعة .

عقبـــة الســويـــق :

وتقع على طريق (خليص) . وعلى الرغم من أن المسافة التى بينها وبين استراحة طارق كلها جبال صخرية صلبة صعبة الاجتياز ، إلا أن المسافة التى تبدأ من عقبة السويق فى اتجاه مكة عبارة عن أرض سهلة منبسطة ، ولذلك تتمتع ببساتين جميلة ، وبها بئر وماء جار وبحيرة صغيرة .

ولما كان اعراب زبيد وهم أسوأ قبائل العرب يسكنون فى هذه النواحى ، فقد خصصت لهم الدولة صرة خاصة بهم لكى لا يعتدون على القوافل ، وينهبون متاعها .

والقوافل المتحركة من عقبة السويق ، تواصل سيرها حتى تصل إلى المرحلة المسماة (عسفان) .

عســـــفان :

وهى من الآبار النبوية المأثورة . وتكثر الآبار فى هذه المنطقة ، ويطلق على بعضها (بطن مر) . ويقع مدرج عثمان فى الطرف الشرقى لبطن مر هذه .

وتصل القوافل قرية ابى عروة بعد مغادرة مرحلة عسفان ، ثم تدخل القوافل مكة المكرمة كانت تقطع القوافل المسافة من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة فى مائة وست ساعات . وكانت تدخل مشارف مكة فى أوائل ذى الحجة . أو تقوم من عسفان حتى تصل إلى طريق البرقا ، ثم تصل إلي مكة المكرمة عن طريق وادى المر يعتبر الطريق الذى يمتد من المدينة المنورة إلى وادى المرمن أصعب الطرق واكثرها خطرًا ولذلك كانت لا تسلكه القوافل إلا نادرًا .

أبُـــو عـــــروة :

قرية صغيرة تقع فى حضن الجبل فى الجهة الغربية من الطريق ، وتكثر بها المياه الجارية والحدائق والبساتين .

وهناك طريق آخر يؤدى إلي مكة المكرمة من الشام ، إلا انه غيرمطروق فى زماننا لانعدام المياه والأمن فيه . وهذا الطريق المذكور يقع على الجانب الشرقى من الطريق الذى سبق أن عرفناه . والذين يرغبون فى اجتياز هذا الطريق ويخرجون من الشام حتى (أرابانى البصرة) . ومن هنالك يصلون إلى قلعة الأزرق . ومن الأزرق يتجهون نحو (قراقر) . ثم يتجهون منها إلى (قلته) . ومن قلتة إلى (صبيحة) ، وبعدها (تيما) . ومن تيما تتجه القوافل نحو(وادى الصوان)، ثم تسلك الطريق إلى مكة المكرمة عن طريق العلا سالف الذكر . وهناك خمسة منازل فى المسافة الواقعة بين الشام وقلعة أزرق ، ومن قلعة أزرق إلى مرحلة قراقر .

وتوجد بعض الآبار قليلة المياه ، وبعض أشجار النخيل فى هذه المنازل ، ويوجد بين قراقر وقلتة منزلان ، وبين قلتة وصبيحة منزلان آخران . ومن صبيحة حتى تيما ثلاثة منازل ، ومن تيما حتى العلا أربعة منازل . واحتمال الحصول على قليل من الماد فى كل منزل من هذه المنازل أمر وارد .

=

رفتاره كَله روح مصوِّر روان اولو غفَّاره كَله معجزه اسعا بيان اولور [1]

سيدات المدينة ؛ جميعهن يرتدين الملابس الحريرية الزرقاء ، والشباشب ، ويتدثرن بالإيزار الأسود ، ويضعن على رؤوسهن نقاباً ، حريرياً ، تنحصر ألوانه ما بين الأخضر ، والأحمر ، والأصفر . أما الرجال فيضعون على رؤوسهم عرقية « طاقية » شامية ، وفوقها الشال الكشميرى أوالعمامة البيضاء . والجميع – نساء ورجال – يُكحِّلون عيونهم بالكحل .

أشجار الفاكهة التى تكثر فى المدينة :

إن بستان صوقوللى محمد باشا ، وحديقة شيخ الإسلام وغيرهما من الحدائق ،

= ويشتمل هذا الطريق على عشر مراحل . وبين كل مرحلة وأخرى سبعة وعشرون ميلا .

وهناك طريق آخر بين مكة والمدينة ، كثيراً ما يسلكه أهل المدينة أنفسهم .

والذين يسلكون هذا الطريق يتحركون من آبار على إلي (سمحان) ، فـ (سمحان) ، فـ (جبل مفرح) فـ (قريش) فـ (قبور الشهداء) . ومن قبور الشهداء إلى (روحا) . ومنها إلى (شعب) ، ومن شعب إلى (تازى) وكان الطريق الممتد من المدينة المنورة حتى هذه المرحلة مخيف وخطر جداً . ثم (حنيف بنى عمرو) ، ومن هناك يمرون بطريق الوادى الصغير الذى يؤدى إلى المكان المقصود .

ســـمحان :

جبل صغير مثل جبل مفرح يقع بين جبلين شاهقين ، وقد اعتاد الجمالون على أن ينالوا العطايا والهدايا والمنح من الحجاج منذ القدم . عند وصول القوافل إلى هذه المرحلة .

روحـــا :

ويوجد بها بئر عميق الأغوار .

شعـــب :

وتقع بين جبلين . وبئرها يقع فى الجهة اليمنى من الطريق .

حنيـــف بنـــى عمـــرو :

واد طويل محصور بين جبلين ، توجد به عدة قرى ، وتوجد بهذه القرى عيون جارية وآبار عذبة المياه وحدائق نخيل . وتسكن هذه القرى قبائل بنى عمرو وبنى سالم الذين يبلغ عددهم الفاً تقريباً . وهم ذوو شهرة واسعة فى الحرب والقتال ، وخاصة فى رمى السهام . ويعتبرون من أكثر قبائل العرب غنى وثراء .

وادى الصغير :

يقع منزل وادى الصغير عند حافة جبل . وهو يتمتع بعيون جارية ومياه عذبة وأشجار للنخيل ذات محصول وفير . وماؤه أعذب وأحلى من مياه بدر وبنى حنيف .

وتقيم فى هذا الموقع طائفة من الأشراف الزيدية الذين يقومون بحماية المارين والعابرين من هجمات البدو وغاراتهم . ويتقاضون صرة من الدولة فى مقابل ذلك . « المترجم »

(١) وترجمته : [تنبعث الروح فى القادم الوله ومجيئه يُبيِّن معجزة السماء]

والبساتين عامرة بأنواع الفواكه الطازجة ؛ فبالمدينة سبعة أنواع من البلح ، والتمر ، وأنواع متعددة من التفاح ، والعنب ، والخوخ ، الذى يشبه وجنة الحسناء . والمشمش ، والبرقوق بها كثير ، وليمونها فى حجم رأس الإنسان ، وبها عدة أنواع من النارنج ، والليمون الحامض ، وأشجار التين ، والزيتون ، والرمان ، والشمام ، والبطيخ. ولكن لماكانت منطقة المدينة منطقة صخرية ، فإن حقولها قليلة . وكل حبوبياتها تأتى إليها من مصر ، والطائف ، والحجاز . وبها ورد أحمر ليس هناك شبيه له فى غيرها من البلاد . وعداه ؛ فهناك الزنبق ، والقرنفل ، والفل ، والياسمين ، والنرجس ، والبنفسج ، وغير ذلك من الزهور الفوَّاحة . وبلح المدينة ، وتمورها خاصة تتفوق على مثيلاتها فى شتى أنحاء المعمورة .

* * *